خطب شهر فبراير

التوسل – ١

التوسل – ٢

التوسل – ٣

التوسل – ٤

المولد النبوى الشريف

التوسل – ١

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

إخوانى فى الإيمان نرى فى هذا الزمان الكثير مِن الناس مَن يتكلمون فى الدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وبغير دراية بما هم خائضين فيه، فنراهم يحكموا بتحريم أشياء وحجتهم أن هذا الشيئ المحكوم عليه عمله شرك، وذلك استناداً منهم بغير علم على كتاب الله وتفسيره بأهوائهم، ناسين أو متناسين أنه من أهم القواعد الفقهية أن القول بالرأى فى كتاب الله حرام، وبتفسيرهم للآيات بأهوائهم يجدون راحة فى أنفسهم الضعيفة وقلوبهم المريضة، وباتباعهم للهوى نجدهم يلبسون الحق بالباطل ويخلطون الحابل بالنابل والأمر بالنهى والحظر بالإباحة، فأضلوا كثيراً من الناس لاتباعهم إياهم، فانتبهوا عباد الله أن تكونوا ممن يتبع هؤلاء الناس الضالين والمضللين عن طريق الحق، وتسمع من أقوالهم فى قضية التوسل الكثير والكثير، فمنهم من قال أن التوسل إلى الله يكون بالأعمال الصالحة فقط والتوسل بالأشخاص عند الله شرك، ومنهم من أجاز التوسل بالأحياء فقط دون الأموات وقال أن التوسل بالأموات شرك، فيا سبحان الله، أأصبح تكفير الناس ورميهم بالشرك أمراً هيناً فى هذا الزمان، ألم يسمعوا حديث المصطفى ﷺ المروى فى صحيح الإمام مسلم (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ) وروى أيضاً الإمام البخارى فى صحيحه عن سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا) ألا يخشون أن يكون حكمهم على هذا الأمر خطأً فيعود الشرك عليهم هم، ونرى بعضاً من الناس من يسمع لكلامهم ويستحسنه بل ويردده ويعمل به، دون أن يعقل أو يتدبر أو يتفكر فى الأمر أو يتروى ويبحث بنفسه فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ليرى إن كان كلامهم هذا صحيحاً أو كان كلامهم خاطأً، كى يقى نفسه ولا يقع

فى المحظور، ولما كانت قضية التوسل من القضايا الهامة فى الدين، وكما نعرف أن الدين مقسم إلى عقائد وعبادات ومعاملات وكانت هذه المسألة تخص أهم قسم فى هذه الأقسام وهو العقائد، فكان ينبغى علينا أن نقف أمام هذا الأمر ونبحثه جيداً ونتدارسه، كى نصل إلى الجواب الشافى والحكم الواضح على هذه المسألة.

ومن هدى الحبيب المصطفى ﷺ نجد الكثير ما يرد على هؤلاء المنكرين أقوالهم ففى الحديث المروى عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه فى المعجم الأوسط والكبير للإمام الطبرانى أنه لما انتقلت إلى جوار ربها السيدة فاطمة بنت أسد والدة الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، أن النبى ﷺ حفر اللحد بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال (الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت أغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين).

فنرى فى لفظ حديث رسول الله ﷺ (بحق نبيك والأنبياء) إنما هو توسل بالنبى ﷺ وتوسل بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وروى الإمام البيهقى بإسناد صحيح فى كتابه المسمى (دلائل النبوة) الذى قال فيه الحافظ الذهبى (عليك به فإنه كله هدى) فرواه عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى، فقال الله تعالى، يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه، قال: يا رب إنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ وإذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمداً ما خلقتك) رواه الحاكم وصححه الطبرانى وزاد فيه: (وهو آخر الأنبياء من ذريتك).

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك للخليفة المنصور، وذلك أنه لما حج المنصور وزار القبر الشريف قال للإمام مالك رضي الله عنه وهو بالمسجد النبوى: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو؟ فقال الإمام مالك: "ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى من قبلك، بل استقبل واستشفع فيشفعه الله فيك، وفى رواية أخرى قال آدم: "يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودى يا آدم لو استشفعت إلينا

بمحمد لأهل السموات والأرض لشفعناك".

وما رواه سيدنا العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه قال: كنت جالساً بجوار النبى ﷺ فقلت له يا ابن أخى: رأيتك فى المهد تحدث القمر ويحدثك بلغة لم أفهمها فماذا كنت تقول له؟ فقال: يا عمى قرصنى قماط فى جانبى الأيمن فهممت بالبكاء فقال لى القمر لا تبكى يا محمد فإنك لو بكيت ونزلت قطرة من دموعك على الأرض لانقلبت الخضراء على الغبراء، فسكت شفقة على أمتى، أفأزيدك يا عمى قلت زدنى، قال: ثم قرصنى القماط فى جانبى الأيسر فهممت بالبكاء فقال لى القمر لا تبكى يا حبيب الله فإنك لو بكيت ونزلت قطرة من دموعك على الأرض ما انشقت الأرض على نبات إلى يوم القيامة، فسكت شفقة على أمتى، أفأزيدك يا عمى قلت زدنى، قال: والذى بعثنى بالحق نبياً كنت أسمع صرير القلم واللوح وأنا فى ظلمة الأحشاء، أفأزيدك يا عمى قلت زدنى، قال: لقد خلق الله مائة وأربعة وعشرين ألف نبى ما علم أحد منهم أنه نبى إلا حينما بلغ سن الرشد وهو أربعين عاماً إلا عيسى بن مريم حينما نزل من جوف أمه قال: إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبياً وابن أخيك، أفأزيدك يا عمى قلت زدنى، قال: حينما اتبع فرعون موسى بجنوده فضرب البحر بعصاه سبع مرات فلم ينشق له البحر، فناجى موسى ربه، فقال الله يا موسى لن ينشق لك البحر حتى تصلى على محمد، فصلى علىَّ فضرب البحر بعصاه فانشق فعبر هو وجنوده، أفأزيدك يا عمى قلت زدنى، قال: لقد خلق الله سبع سموات وملأهن ملائكة يسبحون الله ويقدسونه إلى يوم القيامة وجعل ثواب هذا التسبيح وهذا التقديس لعبدٍ ذُكرت عنده وصلى علىَّ، فقلت والله لأصلين عليك حتى تفارق روحى جسدى) فهذا الحديث فيه توسل من سيدنا موسى بسيدنا محمد ﷺ إلى ربه.

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى الأولين، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى الآخرين، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى كل وقت وحين، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين، عباد الله أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم، ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة.

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم، أدعوا الله وأنتم موقنين بالإجابة تجابوا.

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحلّ به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج وتنال الرغائب بوجهه الكريم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

من الآحاديث سابقة الذكر ما يكون دليلاً واضحاً على جواز التوسل بالأنبياء أجمعين ولأهمية هذا الموضوع سوف نكمله فى لقاءات قادمة إن شاء الله تعالى.

اللهم بحق سيدنا محمد والأنبياء إلا غفرت لنا يا كريم، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، اللهم اعف عنا، وعلى طاعتك أعنا، ومن شرور خلقك سلمنا، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، واعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، اللهم واجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً، عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

التوسل – ٢

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا وشفيعنا وحبيبنا، وعظيمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور، مولانا محمدا عبده ورسوله، سيد الطائفين والقائمين والركع السجود، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ورضى الله عن التابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

تحدثنا فى الخطبة السابقة عن التوسل بالنبى ﷺ قبل ولادته، ونتحدث اليوم عن التوسل بالنبى ﷺ فى حياته: ونجد من الأحاديث فى كتب الصحاح الكثير، منها ما رواه ابن ماجه والترمذى والنسائى فى سننهم والإمام أحمد فى مسنده عن عثمان بن حنيف (أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ لِى أَنْ يُعَافِيَنِى فَقَالَ إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ لَكَ وَهُوَ خَيْرٌ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ فَقَالَ ادْعُهْ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّىَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِىِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّى فِى حَاجَتِى هَذِهِ لِتُقْضَى اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِىَّ) قال أبو إسحق هذا حديث صحيح، وزاد البيهقى فيه (فقام وقد أبصر) وفى رواية أخرى (اللهم شفعه فىّ وشفعنى فى نفسى).

فبالنظر أحباب رسول الله ﷺ إلى لفظ الحديث (وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ) ألم يكن هذا دليلاً واضحاً بصريح السنة النبوية الشريفة على مشروعية التوسل بالنبى ﷺ، بل وأن التوسل به ﷺ من أهم الأمور التى تُقضى بها الحوائج وتُنال بها الرغائب وتُدفع بها الكروب، فبه ﷺ يفتح الله لنا باب كل خير ويغلق باب كل شر.

وقال المولى تبارك وتعالى فى محكم التنزيل ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ قال ابن جرير "الوسيلة" هى "القربة" كما قال قتادة ولهذا قال ﴿أيهم أقرب﴾ وقوله تعالى ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ أى لا تتم العبادة

إلا بالخوف والرجاء فبالخوف يكف عن المناهى وبالرجاء يكثر من الطاعات.

وقال المولى تبارك وتعالى أيضاً فى الآية الخامسة من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال الإمام ابن كثير فى تفسيرالآية: والوسيلة: هى التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضًا: عَلَمٌ على أعلى منزلة فى الجنة، وهى منزلة رسول الله ﷺ وداره فى الجنة، وهى أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثبت فى صحيح البخارى وفى سنن ابن ماجه وفى سنن الترمذى والسنن الكبرى للنسائى ومسند الإمام أحمد من طريق محمد بن المُنكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِى وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وفى تفسير هذه الآية أيضاً قالوا: اطلبوا ما تتوسلون به إلى رضوانه، والقرب من جناب قدسه من الطاعات، وترك المخالفات ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بمحاربة أعدائه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالوصول إلى الله والفوز بكرامته، وقيل أيضاً: لا وسيلة أقرب من صحبة العارفين، والجلوس بين أيديهم.

وقال ابن عباس: الوسيلة يعنى "الطلب أو الحاجة" واستشهد على ذلك ببيت من الشعر الجاهلى لعنترة العبسى حيث يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلى وتخضبى

وقال أحد العارفين للوسيلة معانى أخرى منها:

ابتغاء الوسيلة التبرى عن الحول والقوة، والتحقق بشهود الطول والمِنَّة.

ويقال ابتغاء الوسيلة هو التقريب إليه بما سبق لك من إحسانه.

ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة.

ويقال الوسيلة اختياره لك بالجميل.

ويقال ابتغاء الوسيلة استدامة الصدق فى الولاء إلى آخر العمر.

ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الأعمال عن الرياء، وتجريد الأحوال عن الإعجاب، وتخليص النَّفْسِ عن الحظوظ.

والحديث عن التوسل يطول ويطول وكى لا أطيل عليكم ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة أو

كما قال التائب حبيب الرحمن.

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

عباد الله هناك نوع آخر من التوسل بالنبى ﷺ وهو التوسل به ﷺ حال حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وهذا ما قاله المولى تبارك وتعالى فى محكم التنزيل وقاله رسول الله ﷺ فى أحاديثه الشريفة، فقد قال المولى تبارك وتعالى فى كتابه العزيز ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقال الإمام ابن كثير فى هذه الآية يرشد المولى تبارك تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

ونجد الآية السابقة لم تحدد زمناً ولم تشير إلى الإتيان للنبى ﷺ حال حياته فقط، ولكن بعد انتقاله أيضاً، وكانت هناك حكاية مشهورة عن العتبى أنه قال: كنت جالسا عند قبر النبى ﷺ، فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبى مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفنَت بالقاع أعظُمُه	فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكَمُ
نَفْسى الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه	فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابى فغلبتنى عينى، فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال: يا عُتْبى الحقْ الأعرابىّ فبشره أن الله قد غفر له.

ونستكمل فى الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى الحديث عن التوسل بالنبى ﷺ بعد انتقاله وكلام أئمة العلماء فى هذا الموضوع.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم لا تدع لنا فى هذا اليوم ذنباً إلا غفرته ولا ميتاً إلا رحمته ولا ديناً إلا قضيته ولا مكروباً إلا فرجته ولا حاجة كان لك فيها رضاً ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، اللهم اعف عنا، وعلى طاعتك أعنا، ومن شرور خلقك سلمنا، اللهم واجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً، عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

التوسل – ٣

الحمد الله المحتجب بكبريائه عن درك العيون المتعزز بجلاله وجبروته عن لواحق الظنون المتفرد بذاته، والمتنزه بصفاته عن صفات المحدثين، القديم الذى لم يزل والباقى الذى لا يزال، المتعالى عن الأشباه والأضداد والأشكال، الدال لخلقه على وحدانيته بإعلامه وآياته، المتعرف إلى أوليائه بأسمائه ونعوته وصفاته، والصلاة والسلام على خير البشر سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

استكمالاً للحديث الذى انتهينا به فى الخطبة السابقة وهو التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته، فقد صح فى حديث طويل ما قاله ابن حجر فى كتابه (الجوهر المنظم) وما رواه ابن جرير: أن الناس أصابهم قحط فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يارسول الله "استقى لأمتك فإنهم قد هلكوا" فأتاه ﷺ فى النوم فأخبره أنهم سيسقون، فكان كذلك.

وذكر العلامة السمهودى فى كتابه "خلاصة الوفاء" من أن الأدلة على صحة التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته ما رواه الدارمى فى صحيحه من أبى الجوزاء قال "قحط أهل المدينة الشريفة قحطاً شديداً فشكوا إلى أم المؤمنين عائشة ﵂ فقالت: انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بين قبره وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطر مطراً كثيراً".

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما يوضح لنا التوسل به ﷺ بعد انتقاله وما يفعله ﷺ لأمته بعد انتقاله، وهو ما أخرجه الإمام السيوطى فى (جمع الجوامع) والمسمى أيضاً بـ(الجامع الكبير) ورواه الحارث فى مسنده والبزار فى مسنده عن النبى ﷺ قال (إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِى عَنْ أُمَّتِى السَّلامَ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَيَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ).

وليس هذا بمستغرب فقد ورد عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك، قال ﷺ (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) رواه أبو يعلى فى مسنده والبزار فى مسنده.

ولما كانت الأعمال بصفة عامة الصادرة من الأحياء تعرض على الأموات أقاربهم بنص حديث رسول الله ﷺ المروى فى مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قال ﷺ (إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنْ الْأَمْوَاتِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا).

وقال القسطلانى شارح البخارى: وقف أعرابى على قبره الشريف ﷺ وقال "اللهم إنك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقنى من النار على قبر حبيبك، فهتف به هاتف يا هذا اتسأل العتق وحدك؟ هلا سألت العتق لجميع المؤمنين؟ اذهب فقد أعتقتك".

عباد الله هذا ما كان فى التوسل بالنبى ﷺ قبل ولادته وحال حياته وبعد انتقاله، تكلمنا فى هذا الموضوع على مدار ثلاث لقاءات بكم، وحينما لم يجد المنكرون سبيل لإنكارهم جواز التوسل برسول الله ﷺ، قصروا التوسل على رسول الله ﷺ وفقط، وقالوا لا يجوز التوسل بغير رسول ﷺ، وأن التوسل بالأولياء والصالحين شرك وكفر وضلال، وهذا يدل على سوء عقيدتهم وعدم فهمهم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقلة اطلاعهم على ماورد عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين، ونرد على هؤلاء بما جاء فى كتب الصالحين والتابعين: ورد فى صحيح البخارى: عن أنس أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بسيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول ﷺ وقال (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا) قال فيسقون، وفى "المواهب اللدنية" للعلامة القسطلانى أن سيدنا عمر رضي الله عنه لما استسقى بسيدنا العباس رضي الله عنه قال "يأيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى العباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى" ففيه التصريح بالتوسل وفيه جواز التوسل بالأولياء لأن سيدنا العباس كان ولياً وفيه توسل بأهل البيت لأن سيدنا العباس من أهل البيت وفيه توسل بذى القربى لأنه قريب للنبى ﷺ "عمه" وفيه توسل بالصحابة لأنه صحابى.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة تجابوا.

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحل

به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يدعيى المنكرون بأنه إن صح الحديث السابق ذكره وهو توسل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بسيدنا العباس ﷺ، أن بهذا الحديث يجوز التوسل بالأحياء فقط ولا يجوز التوسل بالأموات ودليلهم على ذلك أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لم يتوسل بالنبى ﷺ وتوسل بعمه سيدنا العباس ﷺ، ونرد على هذه الفئة بأقوال عديدة:

أولها: أنه لو توسل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بالنبى ﷺ ولم يتوسل بسيدنا العباس ﷺ، لأنكرتم التوسل بغير النبى ﷺ وإنما توسل سيدنا عمر ﷺ بسيدنا العباس ﷺ حتى يعلم الناس بأنه يجوز التوسل بغير النبى ﷺ من الصحابة وأهل البيت والأولياء.

ثانيها: أنه من المعروف أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ هو الذى روى حديث توسل سيدنا آدم بالنبى ﷺ قبل ولادته، فكيف يروى حديثاً للتوسل بالنبى ﷺ قبل ولادته ثم ينكره بعد ذلك!! فهذا سوء فهم من المنكرين المعارضين.

ثالثها: إن قصر التوسل على الأحياء فقط دون الأموات هو عين الشرك، وذلك لأنهم بهذا ينسبون إلى الشخص الحى المتوسل به قدرة مع الله حال حياته يقدر بها أن ينفذ أغراض المتوسلين به، وتنتفى هذه القدرة عنه عند موته فلا يقدر أن ينفذ أى غرض بعد ذلك وهذا هو عين الشرك، لأننا إذ نتوسل بالأحياء أو الأموات إنما نتوسل بهم ونعتقد بداخلنا أن الفاعل هو الله لأنه لاقدرة لمخلوق مع قدرة الخالق، فتستوى عند الله حياة المخلوق بموته من حيث القدرة، أى أن قدرة المخلوق فى الحالتين حياً كان أو ميتاً إنما هى قدرة من الله عز وجل، ومادامت هذه القدرة من الله فتجوز أن تكون حال الحياة أو الموت.

رابعها: أن حجتهم أن سيدنا عمر لم يتوسل بالنبى ﷺ أى لم يفعله، ومعنى هذا أن أى شى لم يفعله الخلفاء الأربعة يكون خطأ فعله، هذا أمر مردود عليهم بنص حديث رسول الله ﷺ المروى فى صحيح الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله، قال رسول الله ﷺ (مَنْ سَنَّ فِى الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِى الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا

يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) فليس من الصحيح أن نستند إلى خطأ أى أمر فى الدين أو صحته بفعل رسول الله ﷺ له أو صحابته من عدم فعلهم إياه، فالسنة الحسنة فى الإسلام على مر العصور إلى يوم القيامة قائمة، بنص الحديث الشريف سالف الذكر، ولقد رواه أيضاً الإمام ابن ماجه فى سننه والبيهقى فى سننه الكبرى وفى شعب الإيمان، والإمام أحمد فى مسنده، كل هؤلاء الأئمة مقرين بالسنة الحسنة فى الإسلام، فأين هؤلاء المنكرون منها.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم لا تدع لنا فى هذا اليوم ذنباً إلا غفرته ولا ميتاً إلا رحمته ولا ديناً إلا قضيته ولا مكروباً إلا فرجته ولا حاجة كان لك فيها رضاً ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، اللهم اعف عنا، وعلى طاعتك أعنا، ومن شرور خلقك سلمنا، اللهم واجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً، عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

التوسل – ٤

الحمد لله الهادى الجبار الذى دعا الخلق إلى طريق الحق، والحق أقوى وأقوم، وخلق الخلق وهو بأسرار الخلق أعلم، وعمت رحمته بالمؤمنين وهو بهم أرحم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا وشفيعنا وحبيبنا، وعظيمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور، مولانا محمدا عبده ورسوله، سيد الطائفين والقائمين والركع السجود، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد المختار وعلى آله وصحبه أهل الأنوار والأسرار، مصابيح الدجى فى كل زمان ومكان، يهتدى بهم من ظلمات الجهل كل حيران، ويسير على دربهم كل مهتد فى أمان، ورضى الله عن التابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

عباد الله مازلنا معاً فى قضية التوسل إلى الله وتكملةً لحديثنا فى الخطبة السابقة ومشروعية التوسل إلى الله بالصالحين من عباده، روى العلامة ابن حجر فى مناقب الإمام أبو حنيفة النعمان ﷺ فى الفصل الخامس والعشرين أن الإمام الشافعى ﷺ حينما كان ببغداد كان يتوسل بالإمام أبى حنيفة ﷺ، فكان يجئ إلى ضريحه فيزوره ويسلم عليه ثم يتوسل به إلى الله تعالى فى قضاء حاجته، وقد ثبت توسل الإمام أحمد بن حنبل ﷺ بالإمام الشافعى ﷺ حتى تعجب ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل ﷺ فقال له الإمام أحمد ﷺ: أن الشافعى ﷺ كالشمس للناس وكالعافية للبدن، ولما بلغ الإمام الشافعى ﷺ أن أهل المغرب يتوسلون إلى الله بالإمام مالك ﷺ لم ينكر عليهم ذلك، فها هو حال أئمة المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين وهم من هم، فميلاد أولهم الإمام أبو حنيفة النعمان ﷺ كان فى أول قرون الخير وهو القرن الأول الهجرى، كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ فى حديثه الشريف المروى فى الصحاح الست ومسند الإمام أحمد بروايات عديدة أنه ﷺ قال (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) فكان مولد الإمام أبو حنيفة النعمان ﷺ سنة ٨٠ للهجرة، وكان مولد آخرهم وهو الإمام أحمد بن حنبل سنة ١٦٤ للهجرة، أى فى القرن الثانى الهجرى، فهم أغنياء عن التعريف، ولا يخفى علينا جميعا أننا نتعبد بالشريعة من خلال

أحكامهم وأقوالهم، بل وأفعالهم أيضاً، فإذا كانت شريعتنا الغراء وأحكامها من صلاة وصيام وزكاة وحج، نلجأ إليهم لِيدلونا على كيفياتها وهيئاتها وغير ذلك من المعاملات أيضاً، فلماذا يصم البعض آذانهم ويغلقوا عقولهم، كى لا يهتدوا بهم فى قضية التوسل، ولم يتوقف التوسل بالصالحين من بعدهم، فكان السلف الصالح من بعد هؤلاء الأئمة يتوسلون إلى الله بالصالحين منهم، المنتقلين إلى جوار ربهم والأحياء، فقد كان الإمام أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه يقول: من كان له إلى الله حاجة وأراد قضاءها فليتوسل إلى الله تعالى بالإمام الغزالى، وذكر الإمام العلامة السيد طاهر بن محمد هاشم باعلوى فى كتابه المسمى "مجمع الأحباب" فى ترجمة الإمام بن عيسى الترمذى صاحب السنن، أنه رأى فى المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الإيمان ويتوفاه عليه قال "قال لى قل بعد صلاة ركعتى الفجر: إلهى بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجّنى من الغم الذى أنا فيه ياحى ياقيوم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك يالله يالله يالله يأرحم الراحمين" وهذا أمر صريح بالتوسل.

عباد الله شرع الله سبحانه وتعالى التوسل بالبهائم كما جاء فى كتاب الاستسقاء فى كتب الفقه أن المصلين يخرجون إلى الخلاء ويُخرجون معهم ماشيتهم، فما السر من إخراج الماشية؟ أليس فيه الإشارة للتوسل بها إلى الله تعالى أن يسقيهم لأجلها؟ ونجد الحديث المروى فى السنن الكبرى للإمام البيهقى ومسند أبى يعلى ومسند البزار عنه ﷺ أنه قال (مهلا عن الله مهلا فإنه لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً).

ففيه توسل بالمشايخ والشباب والأطفال والبهائم، فإذا كان التوسل بالبهائم نافع أفلا يكون التوسل بالصالحين أنفع، فيا للعجب من هؤلاء الذين ينكرون أحاديث رسول الله ﷺ ويدعون أنهم أهل الإسلام، ولكنهم يحاولون إفساد عقيدة أمة خير البرية ﷺ ويحاولون إبعادهم عن العقيدة الصحيحة.

أما كلام العوام الذى يحتج عليه البعض ويكفر العوام على كلامهم حينما يطلب من الرجل الصالح الشفاء أو غير ذلك إنما يؤخذ على المجاز العقلى، لا على التكفير والخروج من الملة، لأنك إذا سألت واحد من العوام على مقولته هذه، يقول لك وبعقيدة راسخة فى ذهنه وقلبه: أن الشافى هو الله والمعطى هو الله والواهب هو الله، وإذا نظرنا إلى قضية المجاز

العقلى فى كتاب الله لوجدنا منها الكثير والكثير، وعلى سبيل المثال منها لا الحصر:
قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فإسناد زيادة الإيمان إلى الآيات مجاز عقلى وهى ليست سبباً، فالذى يزيد فى الإيمان هو الله سبحانه وتعالى.
وأيضاً قوله تعالى ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ فإسناد الجعل إلى اليوم مجازاً عقلياً والجاعل هو الله وليس اليوم.
وأيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ فإسناد الهبة إلى الرسول "سيدنا جبريل" مجازاً عقلياً والجاعل هو الله سبحانه وتعالى والواهب هو الله سبحانه وتعالى.
عباد الله أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ادعوا الله.

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ
عباد الله بقى شئ أخير فى قضية التوسل لا نريد أن نغفله وهو ما يحتج به البعض على أن التوسل إلى الله يكون بالأعمال الصالحة وفقط، أى أن كل شخص يتوسل إلى الله بعمله الصالح، ودليلهم فى هذا قصة الثلاثة رهط الذين سُدَّتْ عليهم الغار بصخرة كبيرة، وهذا ما روى عن النبى ﷺ فى صحيح الإمام البخارى أنه ﷺ قال (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا) أَى ما كنت أُقدِّم عليهما أَحداً فى شرب نصيبهما من اللبن الذى يشربانِه (فنأى بى فى طلب شىء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا

يستطيعون الخروج، قال النبى ﷺ وقال الآخر اللهم كانت لى بنت عم كانت أحب الناس إلى فأردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبى ﷺ وقال الثالث اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أد إلىّ أجرى فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى فقلت إنى لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) ويحتج البعض بهذا الحديث الشريف بأن التوسل إلى الله يكون بالأعمال الصالحة فقط، ونرد عليهم بأمرين، أولها:

أننا لا ننكر أن هناك توسل إلى الله بالأعمال الصالحة، ولكن الحديث لا يذكر أنه لا يجوز التوسل إلى الله بغير الأعمال الصالحة، ولم يشير إلى ذلك بالتنويه، فلم يكن الأمر المسكوت عنه هنا بمثابة الإقرار بعدم جوازه، أى أن عدم ذكر جواز التوسل بغير العمل الصالح فى هذا الحديث لا يُعد منعاً، بل وأن هناك من الأحاديث كما ذكرنا فى خطبنا السابقة وهذه الخطبة أيضاً ما يُفيد بمشروعية التوسل إلى الله بغير العمل الصالح.

الأمر الثانى:

إذا نظرنا إلى الحديث ودققنا فى معانيه جيداً، نجد أن العمل الصالح الذى توسل به كل واحد من الثلاثة لم يكن هو السبيل فقط لإنفراج الغار وإزاحت الصخرة، بل أن مجموع أعمالهم الصالحة هم الثلاثة معاً، وأكرر عباد الله هم الثلاثة معاً، هو الذى جعل الصخرة تُزاح عنهم، فيكون العمل الصالح لكل إثنين منهم نفع الثالث، فيكون المفهوم من الحديث أنه كما أن عملك الصالح ينفعك فعمل أخيك الصالح ينفعك أيضاً.

اللهم علمنا ما جهلنا، وانفعنا بما علمنا، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب

الدعوات، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم لا تدع لنا فى هذا اليوم ذنباً إلا غفرته ولا ميتاً إلا رحمته ولا ديناً إلا قضيته ولا مكروباً إلا فرجته ولا حاجة كان لك فيها رضاً ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، اللهم اعف عنا، وعلى طاعتك أعنا، ومن شرور خلقك سلمنا، اللهم واجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً، عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

المولد النبوى الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، أشهد أن لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا ومعلمنا وحبيبنا محمد ﷺ رسول الله، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى الأولين، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى الآخرين، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى كل وقت وحين، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين، صلاة تُحل بها العقد، وتُفرّج بها الكرب، وتُنال بها الرغائب.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

عباد الله تعيش أمتنا الإسلامية فى هذه الأيام المباركة الطيبة ذكرى عطرة وعظيمة تشتاق إليها الأرواح وتنشدها القلوب وهى ذكرى ميلاد خير البرية سيدنا رسول الله ﷺ، فأول من احتفل بميلاد الرسول ﷺ هو الحق تبارك وتعالى حيث زين السماء الدنيا بمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين، زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارج، وملئت السماء حرساً شديداً بالملائكة والشهب، فقد كان الجن من قبل يسترقون السمع ويصلون إلى السماء ويستمعون تسبيح الملائكة، ويوم أن ولد المصطفى ﷺ تغير ذلك، فلم يستطيع الجن استراق السمع لأنه إذا حدث من أى منهم ذلك أتبعه شهاب راصد فيحترق، وفى هذا المعنى قال المولى تبارك تعالى فى محكم التنزيل محدثاً عن الجن فى الآية التاسعة من سورة الجن ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ ويوم ميلاد الرسول ﷺ فرح به أبو لهب فرحاً شديداً وذبح شاة كانت عنده، وقيل أنه كانت له جارية تُدعى ثويبة هى التى بشرته بميلاد الحبيب المصطفى ﷺ فأعتقها ابتهاجاً منه بهذه البشرى، فمن أجل ذلك يرفع عنه العذاب كل يوم اثنين من كل أسبوع كما حدَّث بذلك الصادق الأمين سيدنا رسول الله ﷺ، فهذا حال أبى لهب الذى لم يؤمن بسيدنا محمد، فما بالكم بالمسلمين فهم أولى بالاحتفال بذكرى ميلاد نبيهم المصطفى ﷺ، والاحتفال به صلوات الله وسلامه عليه يكون بكثرة ذكر الله تعالى لأن الذكر ينير القلب والروح ويجعل الإنسان قريباً من الله ﷻ، والاحتفال أيضاً بالرسول ﷺ يكون بكثرة الصلاة على النبى ﷺ لأن الحق تبارك

وتعالى أمرنا فى كتابه العزيز فى الآية ٥٦ من سورة الأحزاب ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فالله سبحانه وتعالى يحب كل مسلم يكثر من الصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ إحياءً لذكرى مولده لأنه خير يوم طلع على البشرية جميعاً.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ...

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحلّ به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج وتنال الرغائب بوجهه الكريم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

ومن عجائب يوم ميلاد الرسول ﷺ، ولادته صلى الله عليه وسلم ما ظهر من آيات دالة على النبوة عند مولده، وما حكته أمه ومن حضر مولده من النساء من العجائب ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم كان رافعاً رأسه كالداعى الله –عندما وضعته– شاخصاً ببصره إلى السماء، رواه البيهقى عن الزهرى.

ومن ذلك أيضاً ما روى عن فاطمة أم عثمان بن أبى العاص قالت: لما حضرت ولادة رسول الله ﷺ رأيت البيت حين وقع –أى حين خرج ﷺ للدنيا– قد امتلأ نوراً، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علىّ، رواه البيهقى والطبرانى.

وقد روى أبى العجفاء التابعى عن رسول الله ﷺ أنه قال (رَأَتْ أُمِّى حِينَ وَضَعَتْنِى، سَطَعَ مِنْهَا نُوراً أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصرَى) أخرجه ابن سعد، وقد روى العرباض عن الرسول ﷺ أنه قال (إِنِّى دَعْوَةُ أَبِي إبرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى وَرُؤيَا أمِّى الَّتِي رَأت، وَكَذِلكَ أُمَّهَاتُ النَبِيِّينَ يَرَيْنَ).

وإلى هذا أشار عمه العباس بقوله:

وأنتَ لمَّا وُلِدتَ أشرَقَتِ الأرضُ وضَاءَت بنُورِك الأُفقُ

فنحنُ فِى ذَلِكَ الضِّياءِ والنُّورِ وسُبلُ الرَّشَادِ تخترقُ

ومن آياته أيضاً ما رواه عبد الرحمن بن عوف عن أمه "الشفاء" ﵂: وهى قابلة النبى ﷺ

قالت: لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدى فاستهلَّ –أى عطس– فسمعت قائلاً يقول "رحمك الله" وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم. قالت: ثم ألبسته وأضجعته فلم أنشب أن غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة، ثم غُيِّب عنى فسمعت قائلاً يقول لآخر: أين ذهبت به؟ قال: إلى المشرق. قالت: فلم يزل الحديث منى على بالٍ حتى ابتعثه الله فكنت فى أول الناس إسلاماً. رواه أبو نعيم فى الدلائل.

عباد الله، الحديث عن ذكرى ميلاد الحبيب يطول ويطول، وإنما أردت أن أُذكِّر نفسى وأُذكركم ببعض من نفحات تلك الليلة المباركة، ليلة ميلاد الحبيب المصطفىﷺ، محمد المبعوث رحمة للعالمين.

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين المفلحين، واجعلنا دائما وأبداً على مراد سيد المرسلين سيدنا اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع يا ربنا قريب مجيب الدعوات، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، واعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، اللهم لا تجعل لنا فى هذا اليوم ذنباً إلا غفرته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا مكروباً إلا فرجت كربه يا أرحم الراحمين، ولا حاجة من حوائج الدنيا كان لك فيها رضاً ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أكرم الأكرمين، اللهم واجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين أجمعين، عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.